هدايات القصص القرآني عند الأستاذ فضل عباس [ت2011م] من خلال كتابه "قصص القرآن الكريم"

الأستاذة: زمالية حبيبة

طالبة دكتوراه تخصص تفسير وعلوم القرآن بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة- الجزائر

الأستاذة الدكتورة: حدة سابق

أستاذة بجامعة الأمير عبدالقادر قسنطينة – الجزائر

ملخص البحث:

جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على الطريقة المبتكرة التي انتهجها أحد علماء التفسير في بلاد الشام الشيخ فضل عباس- رحمه الله- وبيان كيفية استخراجه للعبر والدروس من القصص القرآني ومن ثم تنزيلها على الواقع، وقد تبلورت معالم هذا البحث باستقراء كتاب المؤلف" قصص القرآن الكريم" ومن ثم تحليل النماذج القصصية الواردة في ثنايا الكتاب لنخرج برؤية شاملة لمنهج و مسلك الشيخ فضل عباس في بيان هدايات القصص القرآني، وأنهينا البحث بخاتمة أبرزنا من خلالها أهم النتائج المتوصل إليها، وأهمها أن التفسير الهدائي هدفه الإنذار و التبشير والهداية والإصلاح.

الكلمات المفتاحية: هدايات- القصص - فضل عباس –القرآن الكريم.

Summary

This research paper came to shed light on the innovative method adopted by one of the contemporary scholars of the Levant sheikh FADL ABBAS–may Allah have mercy on him– and to explain how to extract lessons from the Qur`nic stories and then descending them on the reality.

The features of this research were crystallized by extrapolating the author`s book of sheikh «stories of the noble Qur`an » ،and then analyzing the anecdotal models contained in the folds of the book come up with a comprehensive view of the methodology and behavior of sheikh FADL ABBAS`S and in explaining the Guidance of the Qur`nic stories،its goal is warning،preaching،guidance and reform.

Key Words:(Guidance -stories- Fadl Abbes- the noble Qur`an).

مقدمة:

تحتل القصة مكانة سامية في نفوس البشر على اختلاف مشاربهم، وذلك لما لها من أثر بالغ في المتلقي، ولما في أسلوبها من مسايرة للفطرة يستوجب الولوع بها والحرص على تحصيلها والانتفاع بها لما لها من مقاصد وتوجيهات وأمثال تبرز المعاني الدقيقة بعيدة عن الخيال والأسطورة.

ولا ينكر أحد أبدا ما جاء به القصص القرآني من توجيهات دينية لكل ما جاء به الإسلام من مبادئ وعقائد ، ولكل ما أنكره الإسلام من خلق وعادات وآراء زائفة وعقائد باطلة، وكل تلك التوجيهات تشكل في مضمونها هدايات القرآن، ولاشك أن هذه الأخيرة هي أساس دعوته وأصل أصوله وعنها تفرعت آدابه وشرائعه وبها قامت أركان علومه ومعارفه وعلى دعائمها نهضت حكمه وأحكامه، لذا تعدُ الهداية هي الغاية المنشودة في كتاب الله تعالى إليها المنتهى في تدبر آياته وفهم معانيه وتجلية أسراره، وهي الثمرة المتوخاة والهدف الأسمى لاستخراج درر وأسرار القرآن بغية الانتهاج بها في حياتنا حتى تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية .

لذا شمر الباحثون للكشف عن هذه النفائس والدرر الكامنة في ثنايا كتاب الله تعالى، وقد كان قدم السبق للعلامة الموسوعة " فضل حسن عباس" الذي برز في التفسير وعلوم القرآن واللغة والنحو والبيان، هذا ما أهله أن يستنطق النص القرآني ويستخرج كنوزه الثمينة وأسراره النفيسة، لهذا ارتأينا في هذا البحث ببيان جهود هذا العالم المصلح الفذ الذي ابتكر طريقة متميزة في معالجة القصة القرآنية عن طريق استخراج الدروس والهدايات التي تنطوي على حل لمشكلات المجتمعات وتقديم نماذج حقيقية لبناء الحضارات وفق القيم والمثل الإلهية، بالإضافة إلى تبصير الناس بما يحمله القصص القرآني من قصص هادف يحمل أرقى خصائص الحضارة .

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة ببيان مسلك فضل عباس –رحمه الله – في دراسة القصة القرآنية وطريقته في استنباط الهدايات القرآنية والعبر ويمكن تحديد ذلك من خلال الأسئلة الفرعية التالية:

- ما المقصود بهدايات القصص القرآني ؟

-هل كان للشيخ فضل عباس – رحمه الله - مسلك متميز في دراسة كتاب الله واستخراج العبر والدرر النفيسة منه؟

- كيف وظف الشيخ فضل عباس – رحمه الله -، هدايات القرآن الكريم وربط معانيها بالواقع ؟

-ما المقصود باللبنات الحضارية والإصلاحية عند فضل عباس – رحمه الله – وما علاقتها بالتفسير ؟

وغيرها من التساؤلات التي سنجيب عنها في ثنايا هذا البحث.

أهمية البحث:

أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها تشكل:-

أولا: الرغبة في خدمة كتاب الله من خلال جهود مبتكرة في خدمة القصة القرآنية

ثانيا: الوقوف على جهود عالم فذ من علماء الأردن وطريقته المتميزة في معالجة القصة القرآنية

ثالثا: عرض مسلك فضل عباس في معالجة القصة القرآنية، وما أضافته دراسته من مميزات

رابعا: كيفية تنزيله للقصص القرآني على الواقع.

أهداف الدراسة:

-إن توجيه الدراسة نحو القصة القرآنية لاستخراج الدروس والدلالات التي تنطوي على حل لمشكلات المجتمعات وتقديم نماذج حقيقية لبناء الحضارات وفق القيم والمثل الإلهية.

-تبصير الناس بما يحمله القصص القرآني من قصص هادف يحمل أرقى خصائص الحضارة،

- يبين أسباب بقاء الأمم وفنائها من الأمور المهمة التي ينبغي أن توجه إليها الدراسات القرآنية في هذا الزمان.

الدراسات السابقة:

لم ترد دراسات سابقة مطابقة لموضوع بحثي إلا بعض الدراسات التي تتقاسم في بعض جزئياته وهي:

رسالة الدكتور محمد بن يوسف الجوراني "جهود الدكتور فضل عباس في الدراسات القرآنية "

رسالة الدكتورة أفنان محمد عدنان القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس دراسة تحليلية مقارنة- نوقشت بالأردن عام 2015.

مسوغات البحث:

-ما للقصة القرآنية من أهمية حيث شغلت مساحة واسعة.

-جمعه بين الأصالة والمعاصرة من خلال تنزيل القصص القرآني على الواقع.

-تميزه بطريقة مبتكرة في معالجة القصص القرآني واستخراج هداياته.

منهج البحث:

يرتكز منهج البحث في هذه الدراسة على ما يلي:-

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص القرآنية الخادمة للقصص القرآني

المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال استقراء كتاب المؤلف والاستدلال بالنماذج القصصية الخادمة للموضوع، وتوظيفها في البحث.

خطة البحث:

جُمعت مادة الموضوع في مبحثين رئيسين وهما كالآتي:

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية وفيه:

المطلب الأول :مفهوم هدايات القصص القرآني

المطلب الثاني: نبذة موجزة عن الشيخ فضل عباس – رحمه الله - وكتابه

المبحث الثاني: طريقة فضل عباس في استخراج هدايات القصص القرآني: **جاء في أربعة مطالب**:

المطلب الأول: استخراج العبر والدروس

المطلب الثاني: التحذير من المفاسد الاجتماعية وإسقاطها على الواقع

المطلب الثالث: الرقي الإنساني والحضاري

المطلب الرابع: اللبنات العقدية والحضارية في القصة القرآنية

وخُتم البحث بخاتمة توصلنا من خلالها إلى أهم النتائج .

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية

المطلب الأول: مفهوم هدايات القصص القرآني

أولاً: معنى هدايات

هدايات جمع مفردها هداية، والهداية مصطلح كغيره من المصطلحات التي تزخر بها اللغة العربية حيث إن له معنيين واحد في اللغة وواحد في الاصطلاح وفيما يأتي بيان كلا المعنيين:

الهداية لغة: مصدر للفعل هدى، ويراد بها : الرشاد والدلالة وهديته الطريق والبيت هداية: عرفته"[1]

أما في الاصطلاح تأتي على معنيين: الأول التوفيق وانشراح الصدر للخير وهذه لا يقدر عليها إلا الله تعالى، والمعنى الثاني الإرشاد إلى الخير وهذا ما أثبته القرآن للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولغيره من الأنبياء والصالحين عن طريق بيان معاني كتاب الله وبيان هداياته وتفسيره"[2].

عرف الطاهر بن عاشور الهداية: "بأنها مراد الله تعالى من الناس، وأنه لم يتركهم في ضلالهم، فمن اهتدى فبإرشاد الله ومن ضل فبإيثار الضال هوى نفسه على دلائل الإرشاد[3]"

ثانياً: معنى القصص القرآني

القصص القرآني هو القصص الحق ولقد عرفه العلماء عدة تعريفات أبرزها تعريف عبد الباسط بلبول الذي قال فيه بأنه: «إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات من كائنات بشرية، أو غير بشرية، بهدف الهداية والعبرة»،[4]في حين عرفه مناع القطان بقوله« أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[5]» أما

1- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة، 1415 – 1995، ج1،ص705.

2- ينظر الاتجاه الهدائي في تفسير القرآن الكريم دراسة تأصيلية: سلطان العازمي و زكريا الخضر، ص9.

3- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، ج13، ص180

4- القصص القرآني: بلبول عبد الباسط إبراهيم محمد دت، جامعة الأزهر القاهرة ص36.

5- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، دار النشر مكتبة وهبة، ط11، ط2000م، ص300.

مريم السباعي عرفت القصة القرآنية بقولها: «تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم، وأعمالهم وبخاصة مع رسلهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة» .[1]

ثالثاً: معنى هدايات القصص القرآني

هدايات القصص القرآني وهو ذلك التفسير الهدائي الإرشادي الذي يتبعه المؤلف في تفسيره، هدفه الأعلى بيان ما أنزل الله بتجلية هدايات القرآن وتعاليمه وحكم الله فيما شرع للناس في القرآن، وهذا المنهج لا يهتم ببيان الألفاظ والإعراب والقراءات بل كان هدفه ذكر معارف القرآن والاهتداء بهدايته.

المطلب الثاني: نبذة موجزة عن الشيخ فضل عباس – رحمه الله - وكتابه

أولاً: نبذة مختصرة عن حياته

فضل حسن عباس(1932 – 2011 م): أردني من علماء التفسير وعلوم القرآن ولد في بلدة صفورية في فلسطين، وأتم حفظ القرآن الكريم في بلدته وهو ابن عشر سنين، ثم حفظ من المتون العلمية: متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي، ومتن الرحبية في الفرائض، وغيرها، من مشايخه: محمد عبد الله دراز، ومحمد البيصار، شيخ الجامع الأزهر وعبد الحليم محمود، ومن تلاميذه: سليمان الدقور، وجهاد نصيرات، وأحمد نوفل، توفي في عمان حيث كان متوجهًا إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، عام 2011م.[2]

ومن أبرز مؤلفاته: إعجاز القرآن الكريم، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، إتقان البرهان في علوم القرآن، وغيرها من المؤلفات الخادمة لكتاب الله، والقصص القرآني إيحاؤه ونفحاته وقصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف الذي يعتبر محور دراستنا.

ثانيا: كتابه

كتاب "قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس إرهاف حس وتهذيب نفس" لفضل عباس، طبع بدار النفائس في مجلد كبير، هذا الكتاب من أجود ما تكلم في قصص القرآن تحدث في مقدمته عن الكتب القديمة التي صنفت في قصص القرآن، وبين ما فيها من مزايا وعيوب وخاصة قصص القران للنجار تكلم عن

1- ينظر القصة في القرآن الكريم: مريم السباعي، دار النشر جامعة أم القرى، ط1404هـ -1984م، ص39.

2- ينظر مجلة الفرقان العدد السابع و العشرون /جمادى الأولى 1424هـ-2003م.

مزاياه وبعض الملحوظات عليه، تكلم عن قصص القران واحدة واحدة ، يمتاز هذا الكتاب، بتحقيق كثير من القضايا التي اختلف فيها أراء الباحثين منها بعض أخبار آدم والطوفان ونوح وقصص هود وصالح.. [1]

كما يركز الكتاب على الربط بين القصة وواقعنا المعيشي لاستنباط الدروس والعبر.

المبحث الثاني: طريقة فضل عباس في استخراج هدايات القصص القرآني

المطلب الأول: استخراج العبر والدروس

يسوق لنا القرآن الكريم القصص القرآني لمقصد عظيم، وذلك بغية تحقيق هدفا أسمى هو تأديب النفوس، وتطبيق الدرر والنفائس المستوحاة من القصة والاهتداء بها في حياتنا، وحتى يكون بلسما شافيا وعلاجات لمشاكل متفشية في مجتمعنا الحاضر تناول الشيخ فضل عباس –رحمه الله- مجموعة من النقاط التي تلخص في نهايتها منهجه وطريقته المثلى في استنباط واستخراج العبر والدروس والمتمثلة في: ترسيخه لمجموعة من القيم العقدية والأخلاقية الاجتماعية وهي كالأتي:

أولًا : اهتداء الفطرة الإنسانية إلى خالقها

خلق الله الإنسان وجبله على الإيمان به وقال صلى الله عليه وسلم « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ...» (رواه البخاري)، فالله فطر الإنسان على الإيمان به وحده لا شريك له وفطره على حب الخير.

وقد ذكر الشيخ أن قضية التدين قضية فطرية في الإنسان منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وفي هذا رد على من يدرس الدين آية ظاهرة اجتماعية تاريخية، وأنّ عقيدة التوحيد لم يصل إليها الإنسان إلا بعد شوط طويل زاول خلالها الخرافة وتعدد الآلهة وقصة آدم – عليه السلام – تؤكد ذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[البقرة:172] وقال أيضا ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[الإسراء:70]

1- قصص القرآن الكريم صدق هدف و سمو نفس و إرهاف حس: فضل حسن عباس، ص6-10 .

وقد وضح الشيخ فضل عباس صور تكريم الله تعالى للإنسان بقوله:" فالله تعالى كرّم آدم وخلقه في أحسن تقويم، وليس هذا خاصا بالجسم والروح، وإنما بالفكر والاعتقاد، وإعطاء كل مقومات الخلافة، وعلمه الأسماء، وأعطاه جميع الاستعدادات ليقوم بمهمته، فمن الاستعداد الجنسي أولا، وحب البقاء ثانيا، وحب التملك ثالثا والتدين رابعا، حتى يستطيع ضبط هذه الاستعدادات".[1]

مصداقا لقول الحق تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[الإسراء:70].

ثانياً: بيان عاقبة الجبابرة والمترفين

تطرق فضل عباس إلى ظاهرة **الاستعلاء** في الأرض وادعاء الملكية للأشياء كما حصل مع فرعون حيث قال:، قال تعالى: ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الزخرف: 51] قال فضل عباس: "الحقد الاستهزاء والغرور، هذه الثلاثة هي أكثر عناصر الشر خطرا وأشدها ضرار...يا لضياع الشعوب حين تفقد أعظم ما منح الله الإنسان ألا وهي الحرية – حيث الناس سواء – لله وحده الكبرياء، وها هو فرعون الطاغية البطّاش المغتر بقوته وجبروته المستعلي" [2]والنتيجة إهلاكه بالغرق.

أما بالنسبة للمترفين فهم الذين أطغاهم وأفسدهم المال بحيث يحولون ما يملكون إلى أداة يتسلطون بها على الرقاب وينشرون بها الفساد، والقرآن زاخر بمثل هذه الظواهر، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: 16]

في هذا الصدد يقول فضل عباس – رحمه الله – عند عرضه لقصة صالح عليه السلام:" يذكر صالح قومه بالنعم، وأن الله جعلهم خلفاء الأرض، فسخر لهم سهولها وجبالها، يتخذون من السهول قصورا، وينحتون الجبال بيوتا...ولكن ذلك لم يجد شيئا ما دام البطر قد تملك النفوس، ومادام اللهو قد بلغ مبلغا، و الابتلاء بالسراء قد

1- المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف وسمو نفس: فضل عباس، ص134-135.

2- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف وسمو نفس، ص525.

يكون أشد عاقبة و أنكى من الضراء، و هذا ما وجدناه من ثمود الذين استحيوا العمى على الهدى"[1]، **قال تعالى:﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[الأعراف: 73-74]**

وقال أيضا: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (34) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: 34-35]** وبهذا نقول إن عقاب المترفين في الدنيا شديدا حيث يجعل الله على تنعمهم وترفهم وبالًا عليهم فيبدد ثروتهم و يدمر عمرانهم كما حدث لأمم سابقة مذكورة في القرآن، فهو كان سببا في هلاك قوم صالح لأنهم كانوا عبيداً لشهوتهم و ملذاتهم، أما في الآخرة فمصيرهم النار بسبب ما اقترفت أيديهم من خراب و فساد وهذا القانون الإلهي يسري على جميع المترفين في كل زمان.

ثالثاً: نبذ الاغترار بالقوة و المال

المال والقوة إذا لم يوظفا التوظيف الأمثل كما أمر به الله تعالى كانا سببا في الهلاك كما حدث للأمم السابقة، التي اغترت وتجبرت بهما فكان مصيرها الإبادة، وما قوم هود علينا ببعيد، وفي هذا الصدد يقول فضل عباس في حديثه عن قوم هود الذين بلغوا مبلغا عظيما من المال و السلطان،وقد بينه القرآن في قوله: **﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾** [فصلت: 15]، وقد وضح الشيخ أن القوة إذا لم تستعمل كما أمر الله تصبح سببا لطغيان فقال:" القوة حين تكون بعيدة عن الحق، وحين تنبعث من النفوس المعرضة المستعلية تصير سببا من أسباب الطغيان، بل من أخطر أسبابه، أنها تحمل أصحابها فتنسيهم أول بديهة من البديهيات وهي أنهم خلقوا ليموتوا فبقدر ما تجدهم يبنون من الدنيا مشيدين متفاخرين، فإنهم يهدمون من جانب آخر بنيانهم الإنساني، فيصبح البطش طبيعتهم، و التجبر دينهم، فلا تزداد قلوبهم إلا قسوة".[2]

1- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 224

2- ينظر المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص202-203.

المطلب الثاني: التحذير من المفاسد الاجتماعية و إسقاطها على الواقع

إن المجتمعات التي يعشعش فيها الإلحاد تكثر فيها المفاسد الاجتماعية، و ينتشر فيها الظلم و الفساد، ويموت فيها الضمير و تنسلخ فيها الخلاق، وفي هذا السياق تناول فضل عباس عدة نماذج لأمم الغابرة ومشكلتها مع الأخلاق، والقصة كفيلة بإخراج العالم من انحرافاته ولعل للقصص القرآني الحل و البلسم الشافي.

أولا : نبذه للشذوذ الجنسي و الانحرافات الأخلاقية

لا شك أن الأخلاق هي سمة المجتمعات الراقية المتحضرة، فأينما و جدت الأخلاق متمة الحضارة و الرقي و التقدم، و ما دعوى الأنبياء إلا الدعوة إلى مكارم الأخلاق و نبذ الرذيلة و السلوكيات الفاسدة، وها هو ابن خلدون –رحمه الله – يتحدث عن الأخلاق فيقول: "فمن استحكمت فيه صبغة الرذيلة بأي وجه كان، وفسد خلق الخير فيه، لم ينفعه زكاء نسبه ولا طيب منبته، ولهذا تجد كثيراً من أعقاب البيوت وذوي الأحساب والأصالة وأهل الدول، منطرحين في الغمار، منتحلين للحرف الدنية في معاشهم بما فسد من أخلاقهم، وما تلونوا به من صبغة الشر و السفسفة وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها"[1].

وقد ساق لنا فضل عباس –رحمه الله –قصة لوط عليه السلام باعتبارها لبنة تدعو للأخلاق و فضائل الأعمال، و التي يجب أن يقتدي بها المقتدون و يترفع عنها المتعففون، فقال:"إن أول ما يقفنا و نحن نقرأ قصة **لوط**، هذا الصلف وهذا الترهل، بل وهذا التدني و الانحدار، بل التعري من كل رداء ومن أردية الإنسانية...لقد كان القوم ممعنين في الغي، مستغرقين في الفحش بما يمكن أن يقال، فلهم صفات قد لا نجدها لغيرهم من الأقوام، فالتكذيب و الجدل، و إتيان الفواحش، و الاعتداء و الإجرام، الإسراف، و عمل السيئات و الخبائث، و إتيان المنكر، وقطع السبيل و الجهل و الفسق و الظلم...تلك هي أسوء الصفات التي يمكن أن يتصف بها قوم، ولا يكون جواب القوم حين يدعوهم **لوط** – عليه السلام – سواء الاستهزاء و التهكم، و عدم المبالاة و التنكر لكل حق و قولهم ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ [النمل: 56]، كانت النتيجة أن نجى الله لوط – عليه السلام –و أخذ هؤلاء القوم أخذة رابية يقول فضل عباس: "أي شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم".[2]

1- مقدمة ابن خلدون، ص2093

2- المرجع السابق قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 372

إن الذل و الاستضعاف و التبعية و إعطاء الدنية و سلب كل مقومات الشخصية الإنسانية مشكلة نجدها حاضرة في كل زمان، فهناك الملا الذين يستضعفون الناس، و يسلبونهم كراماتهم، و هناك أناس يقبلون الذل واقعا و سلوكا، قال تعالى ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: 4]

قول الشيخ إنّ موسى عليه السلام أكثر ذكرا من غيره من الأنبياء لأنه أرسل إلى فئتين فئة ممعنة في التكبر و الطغيان (فرعون و ملئه) و أخرى فئة استمرأت الذل و التبعية و الاستضعاف بنو إسرائيل".[1]

ثانيا: بيان عاقبة الظالمين

تعتبر قصة شعيب – عليه السلام – مع قومه مثالا فعالا لإبراز عاقبة الظالمين فمن ألوان الظلم التي أبيدت بسببها الأمم الفساد في الأرض، وكل ما يحل بالناس، من نقم و عذاب في الدنيا، مردهم إلى ظلمهم و إفسادهم فيها **قال تعالى**: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[هود:117]، فلما أفسد قوم شعيب ببخس الناس حقوقهم، و استولى عليهم الجشع و الطمع عاقبهم الله، و لما بغى قارون في الأرض بغير حق، أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، يقول فضل عباس في قصة شعيب – عليه السلام – بعدما أمرهم الله:" بعدما أمرهم شعيب– عليه السلام – بالتوحيد نجده يخطو خطوة أخرى، تتصل بالجوانب الحياتية اجتماعية و اقتصادية، تلك التي كانت تنتشر فيهم، تلك التي لا تنتج إلا البوار و الهلاك، فكان أول ما أمرهم به بعد التوحيد إيفاء الكيل...و الوزن بالقسط و العدل..ثم نهاهم أن يبخسوا الناس حقوقهم..ثم نهاهم أن يظهروا في الأرض الفساد..و هناك خصلة خامسة لا تقل عن سابقتها، إنها تتصل بالجانب الفكري و الروحي، فقد كانوا لا يدعون أي ثغرة أو طريق، إلا و يقعدون بها لإغواء الناس، و صدهم عن الحق، و ما أشبه هذه المهمة – لعمر الحق– بما جرد إبليس نفسه له".[2] و قانون عاقبة الظلم لا يتخلف، و كل انحراف له نتيجة **قال تعالى**: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ **[هود: 102]**

1- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 479

2- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 463

ثالثا: الدعوة إلى التحرر ونبذ التبعية

تحدث الشيخ فضل عباس عن التبعية وتبعاتها فقال: "إنّ التبعية ينشأ عنها الأبناء وهم يرضعون لبنها الآسن كما يرضعون حليب أمهاتهم، وهكذا يورثها الآباء للأبناء و لا يسلم منها إلا من عصم الله ...فنجد قصة موسى عليه السلام تحدث عن هذه الظاهرة لتبين آثارها السلبية وما ينتج عنها من أضرار، و ترشد إلى طرق لتخلص منها...وهذه التبعية من أخطر مشكلاتها و أبرز عقدها...أنها ليست صراعا بين أبناء الطبقة المستضعفة، لأنه سيكون منهم الشرط الحرس....كل ذلك في خدمة الفئة القوية، و تلك لعمر الحق أخطر من سابقاتها".[1]

يقول الشيخ: ربطا بالواقع: " ثم يأتي الواقع الذي نحياه ونعيشه، يأتي هذا الواقع ليصدق القرآن في كل شيء و لا ريب فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه"[2]

إن لتنزيل القصص القرآني على الواقع أثرا بليغاً خاصة في المجتمعات التي ينتشر فيها الإلحاد، و تكثر فيها المفاسد الاجتماعية، وذلك عن طريق إسقاط العبر و الدروس المستوحاة من القصص القرآني، والتي هي في مجموعها مبادئ سامية دعا إليها الإسلام .

وتبقى غاية الرسل والرسالات الدعوة إلى توحيد الله عز وجل والإيمان به و الدعوة إلى نشر الخير و الرشد و مجموع المعارف التي تعطيها القصة كفيلة بإخراج العالم اليوم من مجموع انحرافته و ضلالته.

ولنا في القصص القرآني وبالأخص قصة موسى عليه السلام مع فرعون المثل الأعلى في نبذ التبعية والتحرر من الطغاة المتكبرين الذين لا يؤمنون بيوم الحساب مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ **[26-29]**.

1- المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 619-620

2- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 669

المطلب الثالث: الرقي الإنساني و الحضاري

تعتبر القصة ميدانا خصبا للارتفاع الإنساني و الرقي الحضاري و ذلك من خلال دراسة أحوال الأنبياء و المرسلين، الذين هدفهم الأسمى دعوى الناس إلى تعبيد ربهم، و الدعوة إلى مكارم الأخلاق و الارتقاء بالإنسان إلى مستوى يليق به، وذلك يكون بالوقوف على مواطن العبر و الدروس المستوحاة من القصص القرآني الواردة فيهم، حتى نحقق استقرارا نفسيًا، و خلقيا و اجتماعيا و اقتصاديا، و سياسيا، لذلك لن ترتقي أمة إلا بدراسة حياة المرسلين، فهم دعاة صدق و حق، مثلا في قصة يوسف عليه السلام، و كذلك في قصة سليمان و داود عليهم السلام ميدانا خصبا للتعرف على أسباب الرقي يقول فضل عباس:" لقد امتن الله على داوود و سليمان عليهما السلام، في أكثر من آية العلم، وهو فضل الله على من يشاء من عباده ...و لكننا نلحظ أن الله تعالى، وقد منّ عليهما بالعلم شرفها يوصف آخر إلا وهو العبودية ﴿ **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص: 17]، فمع هذه النبوة و الملك والعلم تأتي العبودية كلها لتتوج ذلك كله".[1]

وفي صفات يوسف عليه السلام حين صار عزيز مصر، حيث ظهر حسن قيادته لسنوات لجفاف لعبر ودروس في الصدق و الأمانة قال تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: 56]

يقول فضل عباس:" لقد أكرم الله تعالى يوسف عليه السلام بصفات منها: مكين أمين حفيظ عليم، فإذا اتسمنا إلى الصفات الأربع أربعا أخرى، الإحسان ﴿**وكذلك نجزي المحسنين**﴾[يوسف:22]

الإخلاص ﴿ **إنه من عبادنا المخلصين**﴾(يوسف24) و الإيمان و التقوى الإخلاص ﴿ **وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يوسف:57]أدركنا سر العظمة و مصدر السمو في شخصية الكريم الكرماء تلكم الصفات جمعت فأوعت".[2]

1 – المرجع السابق قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس و إرهاف حس، ص 619-620

2 – المرجع نفسه قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس و إرهاف، ص 431

المطلب الرابع: اللبنات العقدية و الحضارية في القصة القرآنية

الدين والحضارة صنوان لا يفترقان، وإن كان هناك مبدأ السابق و اللاحق، فالسابق هو الدين، و أما اللاحق فالحضارة التي يغرس بذورها الدين في تربة الواقع لتكون أمة، و أعظم و أرقى مفهوم حضاري يقوم التوحيد لله عزّ وجل، الذي يحمل الفرد أن يفرد خالقه بالعبادة و الطاعة، فدور الإنسان و رسالته في هذه الأرض تحقيق الخلافة، و تعمير الأرض ضمن شريعة الله – عزّ وجل، لذا جاءت رسالة الأنبياء تؤكد على مبدأ التسامح الأمن و الاستقرار و العدل و الحرية و التي تشكل في مجموعها ركائز يبنى عليه المجتمع المسلم، و لقد اصطلح عليها" فضل عباس" اللبنات و التي تعتبر حلقة أو سلسلة من اللبنات و الركائز التي تشكل في مجموعها وحدة متكاملة تسمو وترقى بالسلوك الإنساني و الحضاري.

الفرع الأول: الأنبياء عليهم السلام و اللبنات العقدية

أولاً: آدم عليه السلام و لبنة التأسيس لعقيدة التوحيد وعمارة الأرض

استهل فضل عباس –رحمه الله – في بيان منهج الأنبياء التأسيسي للبنات بدأ بأبي البشرية آدم عليه السلام فقال:" إن قصة آدم عليه السلام جاءت لتقرر الركيزة الأولى في حياة الإنسان، وهي العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد الذي لا تشبه شائبة شرك و قضية التدين، التي يحاول بعض الناس أن ينازع في فطرتها و كونها من الأصول الأولى التي زود بها الله الإنسان".[1]

وكما نرى أن قصة آدم عليه السلام بينت **هدف** خلق الإنسان، وهو عمارة الأرض، و قد أعطاه الله كل المقومات ليقوم بهذه المهمة و أولها العلم يقول فضل عباس:" العلم أول ما امتاز به الإنسان كما جاء في سورة البقرة، وهو أول ما تفضل الله به على الإنسان"، [2] مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: 30]

وفي موضع آخر يقول: "ولقد كرم الله بني آدم بكرامة أبيهم، و خلق الإنسان في أحسن تقويم، ليس بالجسم و الروح فقط بل بالجانب الفكري و الروحي، الذي هيأه الله لأدم حين علمه الأسماء، ففُضِل على الملائكة بهذا

1- المرجع السابق:قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص139

2- المرجع نفسه:قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص139

الجانب"، [1] وذلك مصداقا لقوله تعالى: **قال تعالى** ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة: 31]، وقال في موضع آخر﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[الإسراء:70].

ثانياً: نوح عليه السلام و لبنة المساواة وعدم التعصب لوشائج القربى وصلات الدم

نوح -عليه السلام- أسس لمبدأين عظيمين تقوم على أساسهما الأمة الإسلامية، وبدونهما تختل الحياة، فأول مبدأ عظيم نبذ الطبقية و الفوارق الاجتماعية، وثانيهما نبذ التعصب وحمية الجاهلية .

أولا: نبذ نوح عليه السلام للطبقية

دعا نوح عليه السلام إلى وجوب المساواة ونبذ التفاضل بين الناس أو ما يعرف بالنظام الطبقي ولا عجب أن نجد أن القرآن يعالج هذه القضية، و يسجلها عند حديثه عن أول رسول أرسل إلى قومه ففي قوله تعالى ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ [سورة هود: 27]، ومعنى هذه الآية أن أشراف ورؤساء قوم نوح هم الذين كفروا ولم يستجيبوا لدعوته بدافع أن لهم الأفضلية في الاتباع و القيادة وقالوا: لن نستجيب لدعوتك؛ لأنه لا مزية لك علينا، فأنت بشر مثلنا، ولأننا لا نراك اتبعك إلا سَفَلَتُنا فيما ظهر لنا من رأينا، ولأنه ليس لكم زيادة في الشرف والمال والجاه تؤهلكم لأن نتبعكم، بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه"[2]

وقد بين الشيخ فضل عباس معنى هذه اللبنة وكيف أسس لها نوح عليه السلام بقوله:"يظهر ذلك جليا في رد الشبهات التي وجهها له قومه وقد ذاقوا طعم أنفسهم، فسولت لهم أنفسهم، أن هناك فوارق بين الناس، فمنهم الوضيع و منهم الحقير و الشريف...و نوح – عليه السلام – يحاول جاهدا و يصبر مجاهدا أن يبدد هذه النعرة في نفسهم، و لكن كمن ينفخ في رمادا و يصرح في واد".[3] كما أضاف قائلا:" كان الناس أمة واحدة في عقيدة

1- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص135

2- ينظر المختصر في تفسير القرآن الكريم: تصنيف: جماعة من علماء التفسير إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية الطبعة: الثالثة، 1436 هـ، ج1، ص224.

3- ينظر المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس . ص202-203.

التوحيد و لكنهم اختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين، و إذا كان نوحا قد عانى كثيرا في هذا الأمر، فهناك قضية ظاهرة المعالم في قضيته تلكم قضية التفاضل بين **الناس** و ما عُرف بالنظام الطبقي...فإذا كانت اللبنة التي ركزت عليها قصة آدم قضية العقيدة، فلا بدّ من اللبنة الثانية التي جاءت بها قصة نوح عليه السلام وهي أن هذه العقيدة ينبغي أن تكون هي أساس التفاضل بين الناس".[1]

أما اللبنة الثانية التي وضع قواعدها نوح عليه السلام فهي عدم التعصب لوشائج القربى وصلة الدم

قال: **قال تعالى ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:46-49]**، يريد الحق سبحانه هنا أن يلفتَ نبيَّه نوحًا إلى أن أهليَّة الأنبياء ليست أهلية الدم واللحم، ولكنها أهلية المنهج والاتِّباع، وإذا قاس نوح عليه السلام ابنه على هذا القانون، فلن يجده ابناً له ...فكأن البنوة هنا عمل، وليست ذاتاً، فالذات منكورة هنا، والمذكور هو العمل، فعمل ابن نوح جعله غير صالح أن يكون ابناً لنوح، وهكذا نجد أن المحكوم عليه في البنوة للأنبياء ليس الدم، وليس الشحم، وليس اللحم، إنما هو الاتِّباع بدليل أن الحق سبحانه وصف ابن نوح بقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ ولو كان عملاً صالحاً لكان ابنه، ويقول الحق سبحانه:﴿ **فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[هود: 46] .

والحق سبحانه يطلب من نوح هنا أن يفكِّر جيّداً قبل أن يسأل، فلا غبار على الأنبياء حين يربيّهم ربُّهم .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ** ﴾[هود: 47]

1- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 203-204

وهنا يدعو نوح عليه السلام ربه سبحانه وتعالى أن يغفر له ما قاله، وهو هنا يقرُّ بأنه لما أحبَّ أن يسأل نجاة ابنه لم يستطع أن يكتم سؤاله، ولكن الحق سبحانه وتعالى وحده هو القادر على أن يمنع من قبله مثل هذا السؤال، وهذه قمة التسليم لله تعالى"[1].

وقد علق فضل عباس على هذه العاطفة الواردة في الآية بقوله:" لذلك وجدنا نوحا عليه السلام يستغفر ربه من هذه الرواسب التي وجدها في نفسه من غير قصد، و التي جلبتها و دفعت إليها العواطف، عواطف الأبوة الرحيمة". [2]

ثالثاً: هود عليه السلام و لبنة نبذ الاغترار بالقوة المادية

بين فضل عباس مسلك نبي الله **هود** عليه السلام في معالجة بطش و غطرسة قومه فقال:" وهكذا نجد أن هودا – عليه السلام – قد أكرمه الله فوضع لبنة في بناء الإنسانية المحكم، إضافة إلى اللبنتين السابقتين، وهما ما تحدثنا عنهما من قبل عقيدة التوحيد و عدم التعصب لوشائج القربى و صلات الدم، اللبنة التي أضافها هود عليه السلام كانت لبنة مهمة، وهي عدم الركون إلى القوة المادية، و التعويل عليها وحدها، و الاغترار بها حتى لا تدفع صاحبها إلى الاستبداد و التجبر".[3]

قال تعالى ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ

---

1 ينظر تفسير الشعراوي:محمد متولي الشعراوي، ج1،ص4204

2 المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص -204

3 المرجع نفسه:قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص -225

إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (57) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: 50- 58]

هذه الآيات البينات دليل على نصرة الله لعباده المستضعفين، وأن الاغترار بالقوة المادية و التجبر يدفع صاحبها إلى الهلاك لا محالة، والقارئ لقصة هود-عليه السلام - مع قومه يراه إنسانا وقوراً رزيناً يزنُ الكلامَ قبل إلقائه، ويتلطف معهم بذكرِ نعم الله عليهم ويرغّبهم في الإيمان، ويذكّرهم بما أنعمَ اللهُ عليهم به من أموال وبنين وجنات وعيون، وأنه زادَهم في الخَلْق بَسْطَةً، وجعلهم خلفاء الأرض من بعد قوم نوح، فإذا آمنوا حازوا رضي الله، فيرسل السماءَ عليهم مِدراراً لسقي زروعهم وإنبات الكلأ لماشيتهم، كما يزيدُهم عزّاً على عزّهم، فقال:يا قومُ اطلبوا المغفرة من ربِّكم على سلَفَ من ذنوبكم، ثم توبوا إليه توبةً صادقة، فإنه يَغِيثُكم بالمطر الغزير المتتابع، ويزيدُكم قوةً إلى قوتكم التي تغترّون بها، ولا تُعرِضوا عما أدعوكم إليه، وأنتم مصرّون على إجرامكم وآثامكم" [1].

رابعاً : صالح عليه السلام و لبنة شكر النعمة

بعد ذلك يأتي نبي الله صالح عليه السلام و قومه الذين أكرمهم الله بجمال البيئة و سعة العيش، فدعاهم هذا إلى الترف و البطر ...فيأتي نبي الله صالح عليه السلام بمنهج، وهذا الذي وضحه الشيخ فضل عباس يقوله:" و هكذا نجد نبي الله صالح عليه السلام قد أحكم لبنة صالحة في هذا البناء المحكم إضافة إلى اللبنات السابقة، وهي تحذير الإنسانية من مغبة البطر، و نتيجة الترف، و عدم شكران النعمة".[2] وهذا ما أكده الله تعالى بقوله:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: 142-152]، أي أتحسبون أنكم تتركون في هذه الخيرات والنعم سدى تتنعمون وتتمتعون كما تتمتع الأنعام وتتركون سدى لا تؤمرون ولا تنهون وتستعينون بهذه النعم على معاصي الله.

1- تيسير التفسير: إبراهيم القطان، ج1، ص223

2- المرجع السابق قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس،ص -249

خامساً: إبراهيم عليه السلام و لبنة النعيم العقلي ولذة الروح

في قصة إبراهيم عليه السلام يقول الشيخ:" ماهي تلك اللبنة التي أضافها إبراهيم – عليه السلام –لهذا البناء المحكم، و الحق أنها كانت لبنة عظيمة مميزة كما امتاز الحجر الأسود الذي وضعه إبراهيم –عليه السلام – في بناء البيت، إنها شيء جديد في حياة الإنسانية، إنها نعمة **الرشد** التي لابد أن ترقي الإنسانية إليه و تعول في تعاملها عليه، إنها النعيم العقلي و لذة الروح...هذه اللبنة كانت أوسع مساحة و أعظم أثرا، و أكثر تلاؤما مع تقدم الإنسان، و الحق أنها كانت بداية لعصر جديد، و طور جدير يؤهل الإنسانية لتصل فيما تصل إليه فيما بعد"،[1] قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**﴾[الأنبياء:51]

سادساً: لوط عليه السلام ولبنة الصلح والإصلاح

وفي قصة لوط عليه السلام حيث القوم مستغرقون في الفواحش يعانون من التدني و الانحدار إلى مستوى البهيمية الحيوانية و بذلك كان لهم السبق بهذا التدني الحيواني المخالف للعقل وهم بذلك متجاوزون لحدود العقل و الشرع و العرف فأرسل الله لهم لوطاً عليه السلام ليدعوهم إلى مكارم الأخلاق وفي هذا الصدد يقول الشيخ فضل عباس:" و إذا كان من لبنة يضيفها لوط – عليه السلام – للبناء الإنساني المحكم، و إذا كان قاسيا كل القسوة، و لكنه درس مفيد يمكن أن يكون تسلية، وعزاء لأولئك الذين شاء الله بهم أن يحاولوا الإصلاح في أرض خبث، فلا تخرج إلا نكدا، وهكذا خرج لوط عليه السلام بأمر ربه دون أن يؤمن معه أحدا فلا أحدا، فالله قد منّ عليه، و أدخله في رحمته إنه من الصالحين".[2]

وعاقبة قوم لوط – عليه السلام – ذكرها الله تعالى في محكم تنزيله فقال: ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (36) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (37) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ [القمر:33–39]

سابعاً: يوسف عليه السلام و لبنة الصبر و الشكر لله

---

1 – المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس،ص –334–335.

2 – المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص375–376

وأما في قصة يوسف عليه السلام و تعرضه للمحن المختلفة و للنعم أيضا يقول الشيخ فضل عباس:" لقد مر يوسف بأطوار مختلفة فما أحبه إلى أبيه!، و لكن ما أبغضه إلى إخوته! و بين عاطفتي الحب و البغض، كان هذا التاريخ المليء بالمتناقضات، فمن غيابة الجب إلى غيابة السجن، ومن بضاعة بيعت بثمن بخس مع زهد من بائعيه إلى غير ذلك من أطوار الضيق، من ذلك كله إلى حفيظ عليم مؤتمن على خزائن الأرض يأمر فيطاع، كل هذه الأحوال لم تغير من جوهره شيء فلم يضعفه الابتلاء، و لم تطغه النعماء، ابتلي فصبر، و أعطى فشكر، و لعمر الحق لن يطيق ذلك إلا أصحاب النفوس الكبيرة وهم الذين رسخت العقيدة في قلوبهم، تلكم لبنة عظيمة أضافها يوسف –عليه السلام – إلى اللبنات التي وضعها الأنبياء – عليهم السلام – فما أجمل الصبر في موضعه و الشكر في موضعه وهي جديرة أن تحفظ لمن أراد أن يحفظ عليه دينه، و ما أجمل يوسف – عليه السلام – حتى وهو في السجن".[1] ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ **[يوسف:38]**

اللبنة التي أضافها يوسف عليه السلام لبنة الصبر و الشكر و توجيه الأمر كله لله عزّ وجل دون ضيق أو بأس .

ثامناً: شعيب عليه السلام و لبنة الصبر و الثبات

قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: 94]، هذه الآية الكريمة تعرض قصة شعيب عليه السلام وهو يعالج قضية **الجشع** وحب المال يقول الشيخ فضل عباس:" إن قضية المال من أشق و أشد القضايا التي تحتاج معالجتها إلى حكمة و لطف، إن لم تكن النفوس أضاءت جوانبها العقدية، فمن الصعب بل من المحال أن تكون هناك استجابة لأصوات المصلحين مهما ارتفعت، و إذا كان من لبنة يضيفها شعيب عليه السلام للبناء المحكم، فإنها تتمثل في هذا **الصبر و الثبات**، و تتمثل في قضية أخرى هامة وهي محاربة الجشع الذي يسيطر على النفوس لتستولي على المال، دون تفريق بين الحق و الباطل، و قضية ثالثة هي عدم الاكتراث بهذه النظرة الاجتماعية التي

1- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص448-449

ينظرها أهل الباطل لأهل الحق، و قوم شعيب كانوا يرونه ضعيفا لا يستحق أن يعزوه و يجلوه، و لكن – عليه السلام – صبر و صابر و ثبت على أمر الله حتى أخذتهم الصيحة، و ذلك جزاء المعرضين المكذبين".[1]

تاسعاً : موسى و هارون عليهما السلام و لبنة العلم و العمل

لقد كانت اللبنة التي وضعها موسى عليه السلام في بناء الإنسانية ذات مكان و مكانة و لقد جاء ليخرج الناس من ظلمة التبعية و بؤرة الاستضعاف و العبودية ...جاء ليخلصهم من هذا المنحدر الذي لا يتنسم فيه المرء عليلا، و إن وُجد فهو هواء فاسد ...و كما أنه جاء ليضع للناس لبنة يفرقون، بين الحق و الباطل و كثير ما تسحر الناس أعمال و أقوال ذات مظاهر جذابة، و لكنها ليست في الحقيقة إلا خداعة كذابة، و ما نبأ السحر ببعيد، ومن مظاهر **اللبنة** التي و ضعها موسى عليه السلام مظهر **العلم** التي تجشم المشاق في طلبه وهو الرسول الكريم و النبي الكريم، لبنة موسى عليه السلام تجمع بين العلم و العمل، و محاربة الضعف و إخلاص العقيدة، و لئن كان حديدا في مزاجه شديدا في طبعه فذلك خصه الله به للمواقف التي سيجابهها عليه السلام".[2] كما أشار الشيخ إشارة سريعة إلى هارون عليه السلام فقال:" لقد كان هارون معروفا بصلاحه و تقواه، معروفا بحكمته و إخلاصه، و حرصه على اجتماع الناس على الحق و بحبه لأخيه...لقد كان وزيرا مخلصا يملأ المنصب الذي هيأه الله له ﴿ **سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾[الصافات:120]

عاشراً: يونس عليه السلام و لبنة الاصطبار على قومه

تستمر محاولات الإصلاح عادة بين المصلحين وأقوامهم، وقد صبر الأنبياء كثيرا صبرا طويلا في سبيل هداية أقوامهم وإصلاحهم، ولنا في نبي الله يونس بن متى المثل الأعلى، وفي هذا المقام يقول الشيخ فضل عباس:" و إذا كان من لبنة خص بها يونس عليه السلام في بناء الإنسانية المحكم، فإنما هذا الإعداد الذي ينافي أن يكون لذوي النفوس الكبيرة، حتى تقدر على التحمل و تصبر على الأذى وهو نوع من الجهاد عظيم".[3] وقصة نبي الله يونس عليه السلام جاءت واضحة جلية في القرآن معبرة عن صبر و تحمل الأذى، **قال تعالى** ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ**

1- المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 472-473

2- المرجع نفسه: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص625.

3- المرجع نفسه قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس،ص640-641

مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 87-88]

الحادي عشرَ: داود عليه السلام و لبنة الإخلاص لله تعالى

يعتبر الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، فهو أصل كل خير والباعث عليه، وليس لحظوظ النفس وشهواتها دواء أنفع منه، وتعتبر قصة داود وسليمان -عليهما السلام- مثالا فعالا عن الإخلاص لله تعالى،فقصة داود و سليمان عليهما السلام قصة الملك الذي يجمع معه النبوة، و يحدثنا القرآن عما أكرم به سليمان من رياح مسخرة و الجن و إرساله معدن النحاس له، و تحدثنا الآيات أنه علم داوود صنعة لبوس وفي هذا يقول الشيخ فضل عباس:" إن داوود أول من فعل ذلك لأنه أسند التعليم إليه ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80]

ومع كل هذه النعم لا نجده إلا مثالا للعباد المخلصين، و يقول الشيخ فضل عباس:" إن داود و سليمان عليهما السلام قد أسهما بنصيب وافر في البناء الإنساني المحكم، فغاية النعمة تستلزم غاية العبودية، و كلما عظمت نعم الله تبارك و تعالى على العبد خلصت عبوديته لله تعالى". [1]

الثاني عشرَ: أيوب عليه السلام و لبنة الصبر الشكر

إذا كان داود و سليمان عليهما السلام قد و ضعا في البناء المحكم لبنة الشكر، فإن اللبنة التي وضعها أيوب عليه السلام كانت لبنة الصبر و الشكر، و هما أساسان لابد منهما في هذا البناء الإنساني".[2]مصداقا لقوله تعالى﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:41-44]

الثالث عشرَ: زكرياء و يحيى ومريم و عيسى عليهم السلام لبنة شفافية الروح و دق الإيمان

1- المرجع السابق قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص680

2- المرجع نفسه قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص676.

وأما في تعقيبه على قصة زكريا و يحي و مريم وعيسى عليهم السلام يقول: "إن في أخبار آل عمران صفعة للماديين، فهي تمدنا بشفافية الروح، وصدق الإيمان، فهي آيات تبدد و تهدم كل ما أراده الماديون مما يتنافى مع آثار القدرة الإلهية، و فيها بيانا شافيا لتعنت اليهود، و قسوة قلوبهم، و تنكرهم للحق، و ما أعظم اللبنة التي وضعها هؤلاء، إنها الانطلاق من مجال المادة الضيق، ومن أرجائها المظلمة، ومن أفاقها العتماء إلى ما هو أوسع وأرحب مما تبدعه يد القدرة".[1]

وبانتهاء لبنة عيسى عليه السلام يقول الشيخ: "إن البناء الإنساني المحكم كان بحاجة إلى لبنة ليتم هذا البناء الضخم، و تكتمل أركانه، وهي لبنة خاتم النبيين و سيد المرسلين – محمد صلى الله عليه و سلم– [2]

البناء الضخم الذي أشار إليه فضل عباس – رحمه الله– عبارة عن سلسلة من اللبنات بدا بأبي البشرية آدم عليه السلام وانتهى بخاتم الأنبياء و المرسلين محمد – صلى الله عليه و سلم –فأبو البشرية آدم عليه السلام هو المؤسس الأول لعقيدة التوحيد وواضع لبناتها تهيئة لعمارة الأرض، ثم تليه رسالة نوح عليه السلام و دعوة إلى المساواة و انه أساس التفاضل هو التقوى، أما نبي الله هود عليه السلام فدعا إلى عدم التعصب لوشائج القربى و الدعوة إلى أيضا إلى المساواة، أما صالح عليه السلام فدعا قومه إلى ضرورة شكر النعمة، أما إبراهيم عليه السلام فقد أساس السمو الروحي، في حين لوط عليه السلام دعا إلى الصلح و الإصلاح ، أما يوسف و نبي الله شعيب و موسى و هارون و يونس و داود عليهم السلام جمعتهم قواسم مشتركة تتمثل في لبنة الصبر والثبات، والإخلاص و الشكر لأنعم الله تعالى، وأخيرا جاءت لبنة محمد صلى الله عليه و سلم لتتكمل بها الرسالة الخالدة، وبهذا نقول إن أخوة الأنبياء تجسدت من خلال هذه اللبنات.

الفرع الثاني: الأنبياء عليهم السلام و اللبنات الحضارية

لقد ركز فضل عباس–رحمه الله– على الجانب المعنوي و العقدي في البناء الحضاري الذي صنعه الأنبياء عليهم السلام بأمر الله عزّ وجل، والتي اصطلح عليها الشيخ **اللبنات** التي وضع دعائمها الأنبياء عليهم السلام في بناء الإنسانية المحكم، و قد أبدع الشيخ في استخراج هذه اللبنات، حيث يظهر علمه الواسع و قدرته على التحليل و الاستنباط، ولكنه لم يبرز الجانب المادي الذي تركه هؤلاء الأنبياء إلا إشارات سريعة عند ذكر بعض هؤلاء الأنبياء، فمثلا في قصة إبراهيم عليه السلام أشار إلى بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود، وفي قصة داود عليه

1– المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص697

2– المرجع نفسه قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص698

السلام أشار إلى تعليم الله له﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ** ﴾ [الأنبياء: 80] و ذكر أنه أول من فعل ذلك مع ذكره الكثير من الأمور المادية الحضارية التي اختص بها الله عزّ وجل – سليمان و داود عليهما السلام – من تعليم أصول الحكم و مظاهر مادية من عظمة حكمها و لكنه ذكرها ليبرز الجانب المعنوي و أهميته، خاصة قضية الشكر للمنعم سبحانه وتعالى .

وفي قصة موسى –عليه السلام– بعد أن أبرز الجانب المعنوي في قصته أشار إلا أن هناك جوانب كثيرة تاريخية جغرافية و نفسية....الخ لا يسمح بذكرها كلها.

وفي قصة نوح –عليه السلام– يذكر صناعة السفن، و لكن بإشارة خاطفة بقوله:" يأمر الله أن يصنع الفلك برعايته سبحانه، و يبدأ نوح صناعة الفلك.[1]

ولعل الشيخ من خلال إشاراته الخاطفة و السريعة للبنات المادية، يرى أن الحاجة في هذا العصر أحوج من التقدم و اللبنات المادية، بل نحتاج إلى منظمات معنوية، منظومة القيم التي يرى أن المجتمع متعطش لها سيما معاناته من الفراغ الروحي.

وفي الأخير نقول إن منهج الأنبياء جميعا الواردة في القصص القرآني من أجل بناء حضارة الإنسانية بعد بناء الحضارة الإيمانية و الروحية، والقصة القرآنية في إطارها العام تبرز لنا المستوى الإنساني الكامل من خلال عرض القرآن الكريم لقصص الأنبياء، وهم يصححون العقائد و يحاربون الفساد الاجتماعي و الأخلاقي بكل صوره، و يقومون بتأسيس الحضارات التي تثبت أن الإنسان جدير بأن يكون خليفة الله في الأرض.

وكما عرفنا أن الأنبياء – عليهم السلام – لم يعارضوا الحضارة بل عارضوا الكفر و الترف و الإفساد في الأرض و العلو، فحاجة الإنسان إلى القيم و الأخلاق ضرورية لحياته كحاجاته للأمور المادية، من ماء و غذاء و لباس، ومن قال غير ذلك فقد جهل بطبيعة الأشياء، و أسس علم الاجتماع البشري الذي أسس دعائمه القصص القرآني .

1– المرجع السابق: قصص القرآن صدق هدف و سمو نفس، ص 185

الخاتمة:

من خلال ما تم عرضه عن طريقة فضل عباس في استخراج العبر و الدروس من القصة القرآنية يتبين أنه رسم لها خطوطا متميزة و طريقة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد و من بين النتائج التي وقفنا عندها أثناء الدراسة هي:

- تعد دراسة جادة و فتحا جديدا في دراسة القصة القرآنية أرسى معالمها الشيخ فضل عباس –رحمه الله.
- التفسير الهدائي هدفه الإنذار و التبشير والهداية والإصلاح.
- أن الدروس و العبر المستنبطة لها عدة فوائد منها تصحح العقيدة و السلوك وتقدم لنا مفاتيح السعادة.
- استطاع الشيخ فضل عباس أن يبرز دور القصة باعتبار أن دروسها سبب في تأسيس الحضارات أو هدمها.
- إن الطريقة التي اختارها فضل عباس في دراسة القصة القرآنية و إسقاطها على الواقع لها تأثير على الإنسان .
- استخراج اللبنات الحضارية التي أرسى بنيانها الأنبياء مع إبرازها في كل قصة، مما يجعل لدروس القصة القرآنية دورا هاما في بقاء أي حضارة إنسانية، حيث أن إحياء القيم الإلهية في بناء الحضارات يستوجب العودة إلى كتاب الله و إعمار الأرض وفق منهج رباني يحقق الإصلاح و النهضة.
- طريقته في استنباط الهدايات من القصص القرآني تستحق الوقوف عندها و الإفادة من دروسها و فيها خدمة واضحة لكتاب الله تعالى و الاستفادة منه و الوقوف على كنوزه و أسراره .
- الحاجة الماسة إلى تفسير تتوجه العناية فيه إلى هداية القرآن بما يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه، و ما أنزل لأجله من الإنذار و التبشير و الهداية والإصلاح.
- وفي الأخير برهنت هذه الدراسة على أن المفسر الهدائي له قدرة فائقة على التحليل و الاستنباط من أجل الوصول للهدف الرئيس و هو الهداية الإلهية للبشر.

التوصيات:

وفي الأخير نقول إن فضل عباس–رحمه الله – حقا موسوعة علم و معرفة و أن طريقته في الدراسة يحتاج فطنة وذكاء وقدرة على تمحيص الأفكار واستخلاص الدروس والفوائد و الأسرار، وكيف لا وقد أفنى حياته في

خدمة كتاب الله فجاء بكل جديد و أبدع فكان حقا منهلا و منبعا للدارسين لذا أوصي ببعض النقاط وآمل أن تؤخذ بعين الاعتبار وتتمثل في

- أوصي الأساتذة و الباحثين بالجامعات الإسلامية بالاهتمام بهذا العالم الفذ و تخصيص مقاييس حول مؤلفاته المتنوعة و أخص بالذكر تلكم التي لها علاقة بالقصص القرآني.
- كما أوصي بمن تتبع مقالي بطرحة على طلبات الدكتوراه بدراسته بشكل موسع و دقيق.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

1- الاتجاه الهدائي في تفسير القرآن الكريم دراسة تأصيلية: سلطان العازمي و زكريا الخضر،دت،دط.

2- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م

3- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، دت،دط.

4- تيسير التفسير: إبراهيم القطان،دت،دط.

5- دراسات إسلامية و عربية مهداة لفضيلة للدكتور فضل عباس: جمال أبو حسان، دار الرازي للكتابة و النشر ط1 عام 2003م .

6- القصة في القرآن الكريم: مريم السباعي، دار النشر جامعة أم القرى،ط1404هـ -1984م .

7- قصص القرآن الكريم صدق هدف و سمو نفس و إرهاف حس، فضل حسن عباس،الناشر دار النفائس الأردن، الطبعة الثالثة: 1431هـ-2010م .

8- القصص القرآني: بلبول عبد الباسط إبراهيم محمد: دت، جامعة الأزهر القاهرة.

9- لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس، محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني،دار النشر جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن-عمان ط1/1434هـ-2013م .

10- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، دار النشر مكتبة وهبة، ط11، ط2000م .

11- مجلة الفرقان العدد السابع و العشرون /جمادى الأولى 1424هـ-2003م

12- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة طبعة جديدة، 1415 – 1995.

13- المختصر في تفسير القرآن الكريم: تصنيف: جماعة من علماء التفسير إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية الطبعة: الثالثة، 1436 .

14- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ت: عبد الله محمد الدرويش الناشر دار يعرب، سنة النشر 1425هـ-2004م .